من حصار الشِّعب إلى حصار الشَّعب

الشيخ محمد صالح المنجد

النبذة:

إن ما أصاب إخواننا المسلمين اليوم بغزة أمر خطير، فقد فني الغذاء، وقل الكساء، وذهب الدواء، وقصف البناء، وهذا خبث اليهود ومكرهم، وهذه عداوتهم وبغيهم، والله تعالى بالمرصاد وإليه المرجع والمآب، ونتذكر بهذا الحدث ما أصاب نبينا صلى الله عليه وسلم وأصحابه بمكة، إن الأحداث تتوالى وإن هذه الحلقات في تاريخ الإسلام يذكر آخرها بأولها، ويتتابع البلاء على هذه الأمة وما يجب عليها تجاه ذلك.

العناصر:

1. عداوة قريش للنبي صلى الله عليه وسلم.
2. حصار الشِعب.
3. حصار الشَعب.
4. ماذا عمل المسلمون لإخوانهم.
5. موسم الاختبارات.

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

عداوة قريش للنبي صلى الله عليه وسلم.

عباد الله:

أنتم تعلمون ما أصاب إخواننا المسلمين بغزة، فقد فني الغذاء، وقل الكساء، وذهب الدواء، وقصف البناء، وهذا خبث اليهود ومكرهم، وهذه عداوتهم وبغيهم، والله تعالى بالمرصاد وإليه المرجع والمآب، ونتذكر بهذا الحدث ما أصاب نبينا صلى الله عليه وسلم وأصحابه بمكة، إن الأحداث تتوالى وإن هذه الحلقات في تاريخ الإسلام يذكر آخرها بأولها، ويتتابع البلاء على هذه الأمة وما يجب عليها تجاه ذلك.

لقد قامت قريش بعداوة النبي صلى الله عليه وسلم منذ أن أظهر لهم الحق، قال عبد الله بن عمرو بن العاص فيما رواه أحمد بسند صحيح: "حضرتهم وقد اجتمع أشرافهم يوماً في الحجر فذكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من هذا الرجل قط سفه أحلامنا، وشتم آباءنا، وعاب ديننا، وفرق جماعتنا، وسب آلهتنا، لقد صبرنا منه على أمر عظيم، فبينما هم كذلك إذ طلع عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم

فأقبل يمشي حتى استلم الركن ثم مر بهم طائفاً بالبيت، فلما أن مر بهم غمزوه ببعض ما يقول، أشاروا إليه بأعينهم وحواجبهم استهزاء بكلامه، قال: فعرفت ذلك في وجهه، وكان الغضب يعرف في وجه النبي صلى الله عليه وسلم، فلما مر بهم الثانية غمزوه بمثلها فعرفت ذلك في وجهه، ثم مضى ثم مر بهم الثالثة فغمزوه بمثلها فقال: ((تسمعون يا معشر قريش أما والذي نفس محمد بيده لقد جئتكم بالذبح)) -يعني: بالهلاك فإنه من أسرع أسبابه-، فأخذت القوم كلمته حتى ما منهم رجل إلا كأنما على رأسه طائر واقع، حتى إن أشدهم فيه وصاة -يعني: أكثرهم وصية بإيذائه- قبل ذلك ليرفأه بأحسن ما يجد من القول -أي: يسكنه ويرفق به- حتى إنه ليقول: انصرف يا أبا القاسم انصرف راشداً فوالله ما كنت جهولاً، فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم.(رواه أحمد6996).

حتى إذا كان الغد اجتمعوا في الحجر وأنا معهم فقال بعضهم لبعض: ذكرتم ما بلغ منكم وما بلغكم عنه، حتى إذا بادئكم بما تكرهون تركتموه، فبينما هم في ذلك إذ طلع رسول الله صلى الله عليه وسلم فوثبوا إليه وثبة رجل واحد فأحاطوا به يقولون له: أنت الذي تقول كذا وكذا، لما كان يبلغهم عنه من عيب آلهتهم ودينهم، فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: نعم أنا الذي أقول ذلك، قال: فلقد رأيت رجلاً منهم وهو عقبة بن أبي معيط أخذ بمجمع ردائه وقام أبو بكر الصديق رضي الله عنه دونه يقول وهو يبكي: أتقتلون رجل أن يقول ربي الله؟ ثم انصرفوا عنه، فإن ذلك لأشد ما رأيت قريشاً بلغت منه قط، وقال أبو جهل لعنه الله: هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم؟ فقيل: نعم، قال: واللات والعزى لئن رأيته يفعل ذلك لأطأن على رقبته أو لأعفرن وجهه في التراب، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي زعم ليطأ على رقبته، قال: فما فجئهم منه إلا وهو ينكص على عقبيه ويتقي بيديه، فقيل له: مالك؟ فقال: إن بين وبينه لخندقاً من نار وهولاً وأجنحة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضواً عضواً))(رواه مسلم2797) رواه مسلم.

وفي رواية عن ابن عباس: " كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي عند المقام فجاء أبو جهل فقال: ألم أنهك عن هذا؟ ألم أنهك عن هذا؟ ألم أنهك عن هذا؟ فانصرف النبي صلى الله عليه وسلم -أي: عن صلاته- فزبره -أي: نهر النبي صلى الله عليه وسلم أبا جهل- وأغلظ له في القول، فقال أبو جهل: إنك لتعلم ما بها ناد أكثر مني، فأنزل الله عز وجل: {فَلْيَدْعُ نَادِيَه * سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ} (سورة العلق17-18) فقال ابن عباس: فوالله لو دعا ناديه لأخذته زبانية الله. (رواه الترمذي3349) والنادي مجتمع القوم وأهل المجلس لأنهم يتنادون إليه للاجتماع.

وهكذا رأينا من ثبات نبينا صلى الله عليه وسلم وقوته في الحق وجهره به وتمسكه ما أرعب الكفار وألقى الله الهيبة في قلوبهم، ولقد كان من أقرب الناس إليه عمه يؤذيه وهو أبو لهب لعنه الله، فيقول ربيعة بن عباد الديلي وكان جاهلياً أسلم: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بصر عيني يقول: يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا ويدخل في فجاجها والناس متقصفون عليه، فما رأيت أحداً يقول شيئاً وهو لا يسكت يقول: ((أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا))، إلا أن وراءه رجل أحول وضيء الوجه ذو غديرتين -أي: في الشعر- يقول: إنه صابئ كاذب، فقلت: من هذا؟ قالوا: محمد بن عبد الله وهو يذكر النبوة، قلت: من هذا الذي يكذبه؟

قالوا: عمه أبو لهب.(رواه أحمد15593). وكانت زوجته حمالة الحطب لعنها الله تضع الشوك أمام باب النبي صلى الله عليه وسلم ليلاً وفي طريقه إذا أراد الخروج، فنزلت سورة المسد.

وروى البخاري رحمه الله في صحيحه: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي عند البيت وأبو جهل وأصحاب له جلوس إذ قال بعضهم لبعض: أيكم يجيء بسلا جزور بني فلان فيضعه على ظهر محمد إذا سجد، فانبعث أشقى القوم –فجاء بأمعاء البعير– فجاء به فنظر حتى سجد النبي صلى الله عليه وسلم وضعه على ظهره بين كتفيه وأنا أنظر لا أغني شيئاً، لو كان لي منعة –يقول ابن مسعود– فجعلوا يضحكون ويحيل بعضهم على بعض – أي: يتمايل بعضهم على بعض فرحاً وبطراً بما فعلوا من المنكر، ورسول الله صلى الله عليه وسلم ساجد لا يرفع رأسه حتى جاءته فاطمة –وقد ذهب إليها إنسان فأخبرها– فطرحت عن ظهره فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه ثم قال: ((اللهم عليك بقريش، اللهم عليك بقريش، اللهم عليك بقريش))، ونحن نقول: اللهم عليك بيهود، اللهم عليك بيهود، اللهم عليك بيهود.

قال ابن مسعود: "فشق عليهم إذ دعا عليهم وكان يرون أن الدعوة في ذلك البلد مستجابة ثم سمى: ((اللهم عليك بأبي جهل وعليك بعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة وأمية بن خلف وعقبة بن أبي معيط)) وعد السابع، قال: فوالذي نفسي بيده لقد رأيت الذين عد رسول الله صلى الله عليه وسلم صرعى في القليب – قليب بدر– واجتمعوا عليه".(رواه البخاري240)

كما جاء في حديث أنس: "لقد ضربوا رسول الله صلى الله عليه وسلم مرة حتى غشي عليه، فقام أبو بكر فجعل ينادي: ويلكم أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله، فتركوه وأقبلوا على أبي بكر" (رواه البزار7507).

وعن ابن عباس قال: "إن الملأ من قريش اجتمعوا في الحجر فتعاقدوا باللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ونائلة وإساف –تعاهدوا بأسماء أصنامهم– لو قد رأينا محمداً لقد قمنا إليه قيام رجل واحد فلم نفارقه حتى نقتله، فأقبلت ابنته فاطمة رضي الله عنها تبكي حتى دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: هؤلاء الملأ من قريش قد تعاقدوا عليك لو قد رأوك لقد قاموا إليك فقتلوك، فليس منهم رجل إلا قد عرف نصيبه من دمك، فقال: يا بنية أرني وضوءاً فتوضأ ثم دخل عليهم المسجد فلما رأوه قالوا: هاهو ذا، وخطبوا أبصارهم وسقطت أذقانهم في صدورهم وعقروا في مجالسهم فلم يرفعوا إليه بصراً ولم يقم إليه منهم رجل، فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قام على رؤوسهم فأخذ قبضة من التراب فقال: ((شاهت الوجوه)) ثم حصبهم بها، فما أصاب رجلاً منهم من ذلك الحصى حصاة إلا قتل يوم بدر كافراً"(رواه أحمد2757) رواه الإمام أحمد ورجال إسناده رجال الصحيح.

وهكذا عانى صلى الله عليه وسلم والمؤمنون معه، وخصوصاً المستضعفون فقد عانى آل ياسر، وبلال، وعمار، وخباب، وكانت المعاناة حتى بلغت حجم المؤامرة الخطيرة فقال الله تعالى: {وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللّهُ وَاللّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ} (سورة الأنفال30) ليثبتوك أي: يقيدوك ويحبسوك ويوثقوك.

حصار الشعب.

وقد جاء في كتب السيرة: أن قريشاً اشتد إيذاؤها لرسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من المؤمنين حتى بلغ الجهد منهم كل مبلغ واشتد عليهم البلاء، وأجمعت قريش على أن يقتلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم علانية، فذهب من ذهب من المسلمين بإذن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الحبشة فرأت قريش أن الإسلام يفشو وينتشر فزادت حيرتهم حتى كادت الحيل أن تنفد، ووجدوا أن بني هاشم وبني عبد المطلب قد أصروا على حماية النبي صلى الله عليه وسلم والقيام دونه فاجتمعوا –أي: رؤوس الكفر– في خيف بني كنانة من وادي المحصب فتحالفوا وتعاقدوا على بني هاشم وأدخلوا معهم بني عبد المطلب، ما هي بنود هذا التحالف؟ ألا يكلموهم، ولا يجالسوهم، ولا يناكحوهم، ولا يبايعوهم، واجتمع ملأهم على ذلك حتى كتبوا تلك الصحيفة، بنود الاتفاق والمكر والمؤامرة وعلقوها في الكعبة، وحصروهم في شعب أبي طالب ليلة هلال المحرم سنة سبع من حين النبوة، فانحاز بنو هاشم وبنو عبد المطلب مؤمنهم وكافرهم، فأما مؤمنهم فقد انحاز إلى النبي صلى الله عليه وسلم ومن معه إيماناً ويقيناً، وأما كافرهم فقد انحاز حمية وعصبية، حتى صاروا في شعب أبي طالب محصورين مبعدين حاشا أبا لهب وولده فإنهم صاروا مع قريش على قومهم، وأجمعت قريش على ألا يدخلوا إليهم شيئاً، لا غذاء، ولا كساء، ولا دواء، وقطعوا عنهم الأسواق، ولم يتركوا طعاماً، ولا إداماً، ولا بيعاً إلا بادروا إليه واشتروه دونهم، ولا يقبلوا منهم صلحاً أبداً، ولا تأخذهم بهم رأفة، حتى يسلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى القتل، هذا كان إذاً الهدف من وراء الحصار، فاشتد البلاء على بني هاشم في شعبهم، وعلى كل من معهم، وكان أبو طالب في طول مدتهم في الشعب يأمر أحد بنيه، أو أحد إخوانه، أو بني عمه أن يضطجع على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأتي بعض فرشهم فيرقد عليها حماية للنبي عليه الصلاة والسلام أثناء نومه، واشتد الحصار وقطعت عنهم الميرة والطعام حتى بلغهم الجهد، وأكلوا الجلود، وأوراق الشجر حتى يسمع من وراء الشعب أصوات نسائهم وصبيانهم يصيحون، ويستغيثون من الجوع، وعدت قريش على من أسلم فأوثقوهم، وآذوهم، واشتد البلاء، وعظمت الفتنة، وزلزل المسلمون زلزالاً شديداً، وكان لا يصل إليهم شيء إلا سراً كهذه الأنفاق، وكانوا لا يخرجون من الشعب لشراء الحوائج إلا في الأشهر الحرم، وكانوا يشترون من العير التي ترد مكة من خارجها ولكن كانت قريش تتسابق إليها وتشتريها وتزيد الأسعار في السلعة حتى لا يستطيع أحد من المسلمين الشراء، وكانوا إذا قدمت العير مكة وجاء أحدهم السوق ليشتري شيئاً من الطعام لعياله قام عدو الله أبو لهب فقال: يا معشر التجار غالوا على أصحاب محمد حتى لا يدركوا معكم شيئاً، فقد علمتم مالي ووفاء ذمتي فأنا ضامن ألا خسارة عليكم، أغنياء المشركين ودورهم في الحصار والكفار الكبار يغطون على من دونهم فيزيدون عليهم في قيمة السلعة أضعافاً فيرجع الهاشمي لأطفاله وهم يتضاغون من الجوع وليس في يديه شيئاً يطعمهم به، ويغدو التجار على أبي لهب فيربحهم فيما اشتروا من الطعام واللباس، حتى جهد المسلمون ومن معهم جوعاً وعرياً، حتى قال أبو طالب:

جزى الله عنا عبد شمس ونوفلاً *** عقوبة شر عاجلاً غير آجل

فلما مضى على الحصار الظالم ثلاث سنين تلاوم رجال من بني عبد مناف ومن قصي ورجال من قريش، وأظهروا كراهيتهم للصحيفة الظالمة، ورأوا أنهم قد قطعوا الرحم، واستخفوا بالحق، واجتمع أمرهم من ليلتهم على نقض ما تعاهدوا عليه من الغدر والبراءة منه، ولكن بعث الله قبلهم على صحيفتهم الأرضة فلحست كل ما كان فيها من عهد وميثاق على الكفر والظلم.

فلما أفسد الله صحيفتهم خرج النبي صلى الله عليه وسلم ومن معه فعاشوا وخالطوا الناس، خرج عليه الصلاة والسلام من الحصار وله تسع وأربعون سنة وبعد ذلك بأشهر مات عمه أبو طالب فنال الكفار منه، ثم ماتت خديجة بعد ذلك بيسير فاشتد الأذى فخرج إلى الطائف هو وزيد بن حارثة يدعو إلى الله وأقام به أياماً فلم يجيبوه، وآذوه، وأخرجوه، وقاموا له فريقين فرجموه بالحجارة، وهو مع كل ذلك قائم بأمر الله، صابر على قضاء الله، يجيب دعوة الله، وينادي بها في الناس.

وهكذا لا تنال الإمامة إلا بالصبر: {وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ} (سورة السجدة24).

ولما حج النبي صلى الله عليه وسلم بعد الفتح نزل يوم النحر بخيف بني كنانة، في المكان الذي تقاسمت فيه قريش وأقسمت وحلفت، وكنانة على الكفر وتحالفوا على بني هاشم وبني عبد المطلب ألا يناكحوهم، ولا يبايعوهم حتى يسلموا إليهم النبي صلى الله عليه وسلم، فنزل هنالك عليه الصلاة والسلام شكراً لله تعالى على الظهور بعد الاختفاء، وعلى إظهار الدين ودحض الكفر، وإعلاء كلمة الله، وإتمام نعمته على المسلمين، وهكذا فك الله الحصر، ثم نصر نبيه صلى الله عليه وسلم بالهجرة.

حصار الشَعب.

واليوم عندما يقوم هذا الحصار لا غذاء، ولا كساء، ولا دواء، ولا وقود، ولا ماء، ولا كهرباء، ويقصف البناء، ويغرق المسلمون في الظلام الدامس، تنفد المخزونات، وثلاثة آلاف من الجرحى يخرجون مع نسائهم من المستشفيات لأنه لا فائدة من البقاء فيها فلماذا يبقون، وقد نفد الدواء، والأجهزة لا تعمل، والناس يبيتون على ضوء الشموع، والمرضى يموتون واحد تلو الآخر، وهكذا تبيع امرأة دواء زوجها لتشتري طعاماً لأطفالها، يتكرر المشهد، ودائماً الطرف كفار والطرف الآخر مسلمون، إنها العداوة التاريخية لهذا الدين، ليست القضية عداء سياسياً كما يصوره البعض إذاً لحل كما حلت عداوات كثيرة بين الكفار المتعادين شرقاً وغرباً، ليست القضية إلا أنهم يقولون ربنا الله.

في الشعب كان نبينا *** واليوم إخوان بغزة

يا ليت شعري من يحرك *** في ضمير القوم هزة

يا رب فابعث في نفوس *** المسلمين مزيد عزة

عباد الله:

إنا لنسأل الله عز وجل الفرج العاجل لإخواننا:

اللهم فرج همهم، ونفس كربهم، وكن معهم، وانصرهم ولا تنصر عليهم، وأعنهم ولا تعن عليهم.
اللهم إنهم جياع فأطعمهم، وإنهم عراة فاكسهم، وإنهم حفاة فاحملهم، اللهم انصرهم على من ظلمهم.
اللهم عليك بيهود، اللهم عليك بيهود، اللهم عليك بيهود، اللهم اقطع دابرهم وفرق شملهم وشتت جمعهم.
اللهم ردهم على أعقابهم صاغرين، واجعل ما تآمروا به كيداً عليهم وتباباً ودماراً يا رب العالمين.
أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله، أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله، اللهم صل وسلم وبارك على عبدك ونبيك محمد إمام المتقين، وقائد الغر المحجلين، والشافع المشفع يوم الدين، اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

صبروا فأحسنوا الصبر، وقاموا بأمر الله فأحسنوا القيام، فاجزهم اللهم خيراً عن الإسلام والمسلمين.

ماذا عمل المسلمون لإخوانهم.

عباد الله:

نشهد أن لا إله إلا الله ربنا وخالقنا لا يضيع أحداً من خلقه: {وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها}(هود11)، وقد قال سبحانه: {وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ} (سورة فاطر43)، ولا بد أن يحيق مكر اليهود السيئ بهم، {وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ} (سورة فاطر43) ولكن يبقى السؤال الكبير: ماذا عمل المسلمون لإخوانهم؟ فإنه لا غرابة أن يقوم الكفار بما قاموا به، ولكن العجيب أن يبقى بعض المسلمين في سكرتهم يعمهون ما بين متابعة للألعاب، وانشغال باللذات، وانهماك بالمعاصي، وأهل الإيمان يقومون لله تعالى، يجتهدون على الأقل بالدعاء لإخوانهم، ويتعلم المسلم طبيعة هذا الدين: {أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُواْ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللّهُ الَّذِينَ جَاهَدُواْ مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُواْ مِن دُونِ اللّهِ وَلاَ رَسُولِهِ وَلاَ الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَاللّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ} (سورة التوبة16) أحسبتم أيها المؤمنون أن يترككم الله بغير محنة واختبار حتى يعرف الصادق منكم في دينه من الكاذب فيه، ويعرف الذين يجاهدون من المضيعين والمفرطين، ويعرف الذين لم يتخذوا بطانة من المشركين من دون الله ورسوله والمؤمنين: {وَلِيُمَحِّصَ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ} (سورة آل عمران141).

ومن حصار الشِعب إلى حصار الشَعب مسلسل يسير، وأمة واحدة، والله سبحانه وتعالى لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم، والمؤمنون جسد واحد، ولا بد من الدعاء والدعاء والدعاء: {وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُواْ رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ} (سورة البقرة250) فكانت النتيجة: {فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ} (سورة البقرة251)، وقال تعالى عن نوح عليه السلام يدعو ربه: {لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا} (سورة نوح26).

إن الشعور بالأخوة بين المسلمين أمر عظيم.

أخي أنا أنت وأنت أنا * رباط العقيدة قد ضمنا**

فإما أصبت بسهم هناك *** تلمست جرحاً بقلبي هنا

وإما انتصرت على من بغاك *** فرحت وكان انتصاري أنا

((المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه)) يعني: لا يتركه في مصيبة نزلت به، ((ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته))، ولن يعدم المسلمون وسيلة يعينون بها إخوانهم، ((ومن فرج عن مسلم كربة)) صغيرة أو كبيرة ((فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة))(رواه البخاري2442 ومسلم2580)، والتنفيس أن يرخي الخناق ليتنفس، والتفريج أن يزيلها بالكلية؛ ولذلك كان التفريج مرتبة أعلى من التنفيس وكلاهما فيه أجر، التنفيس والتفريج، رأى نور الدين رحمه الله نزول الفرنج على دمياط وماذا فعلوا فيها من المذابح ورجل عنده يتبسم فقال نور الدين رحمه الله: إني لأستحي من الله تعالى أن يراني مبتسماً والمسلمون محاصرون بالفرنج، وهؤلاء الكفرة لا يرقبون في مؤمن إلاً ولا ذمة، ولقد قال الله: {وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ} (سورة الأنفال72)، ولا بد من النصر بما يستطيع المسلم لأخيه المسلم، {وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ} (سورة آل عمران139) ولا بد أن تكون هذه القضية في صالح الإسلام والمسلمين في النهاية، صالح الإسلام والمسلمين في النهاية، لا بد أن تنعكس ضد اليهود في النهاية: {وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ} (سورة فاطر43)، {إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمونَ} (سورة النساء104) من وجوه أخرى، وتنكشف حقائقهم أمام العالم، وهكذا يحدث بهم من المصائب ما ينتقم الله به لعباده.

أيها المسلمون:

إن الصبر لا بد أن يعقبه الفرج: {الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ} (سورة آل عمران173) إنه الدعاء العظيم، ولا يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وولده وماله حتى يلقى الله وما عليه خطيئة؛ ولذلك فإن هذه الشدائد لا تذهب سدى عند الله، بل يخفف الله بها عن أصحابها ويكفر عنهم أسوأ الذي عملوا.

ثم يتذكر المسلم ما هو فيه من العافية في الأقطار الأخرى من الأرض.

لا تأسى من دنيا على فائت *** وعندك الإسلام والعافية

إن فات شيء كنت تسعى له *** ففيهما من خلف كافية

وليتأمل المسلم في حال هذه الدنيا وزوالها وفنائها وليرجو الفرج من الله تعالى، ولا ينشغل بالحطام الفاني عن الاستعداد لليوم الباقي، والنبي صلى الله عليه وسلم كان يؤمل المسلمين في أشد أوقات الشدة: {إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ} (سورة يوسف87)؛ ولذلك فإنه لا يمكن أن نيأس من رحمة الله أبداً، {وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُواْ إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعونَ} (سورة البقرة155-156)، والفرج من الله آت آت ولا بد.

وتترسخ في النفوس عقيدة البراء من هؤلاء المشركين التي يحاولون طمسها: {وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ} (سورة البقرة120)، وهكذا فإن الله سبحانه وتعالى يبتلي ويعين وهو منزل الكتاب ومجري السحاب وهازم الأحزاب.

ونسأله سبحانه أن يهزم اليهود وأعوانهم وأن ينصر المسلمين عليهم، وأن يرحم إخواننا المستضعفين، وأن يجبر كسرهم ويقيل عثرتهم وأن يتولاهم برحمته، وأن يشفي مرضاهم، ويبرئ جرحاهم، ويرحم موتاهم، ويطعم جائعهم إنه سميع مجيب.

موسم الاختبارات.

وأبناؤنا وبناتنا الطلاب والطالبات على مطلع موسم الاختبارات، هذا الامتحان الصغير الذي يذكر بذلك الامتحان الكبير؛ ولذلك فإن هذه العبرة والعظة أهم من كل ما يكون، ومع ذلك فإن المسلم حريص على الفائدة والمصلحة، وأن يأخذ بالحكمة أنى كانت، وتنظيمك لوقتك يا أيها الطالب وتحقيق سنة الله في النوم ليلاً والاستيقاظ نهاراً هذا هو الأهدأ للبال، والأسكن للقلب، وكثرة ذكر الله تعالى هي الوسيلة للتغلب على القلق النفسي، والتوتر الذي يكون في مثل هذه الأيام، وأيضاً فإن ذكر الله تعالى يذكر: {وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ} (سورة الكهف24) ولذلك فإذا صار له نسيان لهج لسانه بذكر الله عز وجل، ولا للاستعانة بالمنشطات ولا بهذه الحبوب والأدوية الضارة فإنها وبال، وكذلك فإن جلساء الخير ممن تثق بهم يثبتونك وأما أهل الإرجاف الذين يغشونك ويكذبونك ويمكرون بك ويحسدونك حتى في الاختبارات، ويجب وجوباً مؤكداً على أولياء أمور البنات المحافظة على أعراضهم بتفقد بناتهم والإسراع بأخذهن من أمام المدارس فإنه والله يحدث من المنكر ما يدمي القلب من المنكرات العظيمة والعدوان على الأعراض والمواعدات الآثمة في هذه الأيام، فلا بد من الحرص على الأبناء والبنات إنها مسئولية عند الله وأمانة في الأعناق، فطوبى لمن حفظ الأمانة وويل لمن ضيعها.

اللهم أحينا مسلمين وتوفنا مؤمنين وألحقنا بالصالحين غير خزايا ولا مفتونين، اللهم أصلح نياتنا وذرياتنا، اللهم اجعل ما آتيتنا عوناً لنا على طاعتك، اللهم آمنا في أوطاننا، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، اللهم إنا نسألك الأمن في البلد، والعافية في الجسد، والصلاح في الذرية والولد.